النزوع الصوفي وحركية التجريب في شعر عبد الله العشي المحبة الإلهية "أنموذجا".

mystic tendencies and the dynamics of experimentation in Abdullah Al-Ashi's poetry .Divine love as a model

أ. المختار نارة

إشراف : أ.د -وذناني بوداود

قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة عمار ثليجي – الأغواط- الجزائر

مخبر اللغة العربية وآدابها.

m.nara@lagh-univ.dz

تاريخ الإيداع: 2019/11/22 تاريخ القبول: 2020/05/06

الملخص:

إن سمت الخلق والتجريب الدائم والمغامرة الفنية المستمرة في شعر **عبد الله العشي** - من كونها قصيدة لا تقنع باليقيني المطلق، بل تبحث عن صيغ شعرية أكثر غنى وعمقا- دفعه إلى الاستلهام من الرافد الصوفي كنزوع حداثي شعري ينصهر فيه النص بالموقف، وتتوالج من خلالها اللغة ودلالات اللغة، ويندمج فيه الحاضر بالتراث، بكل ما يعنيه ذلك من تكامل جمالي فني للقصيدة الحداثية على مختلف أصعدتها الشكلية والبنائية والمعنوية، وقد أخذنا تجربة المحبة الإلهية في شعره كشكل شعري حداثي جمالي ينطلق من الروح القلقة المتسمة بالرغبة في التسامي بالمطلق، لتصوير حالته الراهنة في ثوب صوفي مثالي، تمليه تجربته الشعرية النظرية لا السلوكية، باحثا عن حالة من الصفاء والعرفانية بين ثنايا الكلمة واللغة الشعرية، فالمحبة الإلهية عنده تعبير صادق عن رؤيا فكرية تبعد المحبوب وتقصيه، لا لشيء سوى للحفاظ على وجوده وتعاليه، ما من شأنه أن يقوي الحساسية الإبداعية لدى شاعرنا المبدع مادام الإبداع وليد المعاناة، فلزاما أن يستعيض من الصوفية الملامح الشعرية التي توائم تجربته الشعرية المنشودة تعبيرا ورؤيا ومدى منشود .

الكلمات المفتاحيّة: التجريب الشعري، المحبة الإلهية، النزوع الصوفي، شعر ، عبد الله العشي.

Abstract:

The characteristic of creation, permanent experimentation, and the constant artistic adventure in the poetry of Abdullah Al-Ashi - from being a poem that does not convince my absolute certainty, but rather searches for more rich and deep poetic formulas - that led him to draw inspiration from the mystical tributary as a modern poetic tendency in which the text melts the situation, and through it language and indications converge Language, and the present merges with it in heritage, with all the aesthetic and artistic integration of the modernist poem in its various formal, structural and moral aspects. s Ideally, his theoretical, not behavioral, poetic experience dictates a search for a state of serenity and anonymity between the folds of the word and the poetic language. Our creative poet, as long as creativity is born of suffering, it is necessary for him to substitute from the Sufism the poetic features that match his desired poetic experience in terms of expression, vision and desired extent.

keywords: poetic experimentation, divine love, mystic orientation, poetry, Abdellah alachi.

مـقدمة:

إن الكتابة عند "**عبد الله العشي**" هي محاولة إنشاد الرؤيا وتجاوز بؤرة الواقع العيني واختراق البعد المحسوس فيه، حيث تتكشّف الحياة رموزا ودلالات وإشارات إيحائية تؤوّل العالم، وتعيد امتلاكه، وتحقق كينونة الإنسان باعتباره ظاهرة متعددة، تقبل الكشف و التأويل، ولتحقيق ذلك "**استعار اللغة الصوفية بما هي لغة لشمولية التجربة الإنسانية في أبعادها جميعا؛ لغة الإنسان في بحثه عن وجهته وعن حركته المصيرية** ".[1] وكل ذلك في إطار بحث **عبد الله العشي** عن شكل تعبيري جديد يناسب خبراته الاجتماعية والحضارية الجديدة الصاعدة المتفاعلة، ويناسب أيضا ذاته القلقة المتسائلة، من هذا المنطلق الشعري الصاخب ارتقى الشاعر بحساسيته المفرطة وهيامه بالذات العليا فوق قيود الواقع وأسواره، ليحلّق في فضاء الله المطلق، ومعه تُسبح الكلمات مشيدا لعوالم عشق صوفية متعددة،[2] وهذا ما حدا بي بلهفة مشرقة وحيرة محدقة إلى التساؤل ما مدى مساهمة الشاعر في تجربة الحداثة الشعرية؟

وكيف ساهم في بناء شعره من خلال رجوعه إلى التراث الصوفي؟ كيف تمركزت تجربة المحبة الصوفية عند **عبد الله العشي**؟ وكيف تشظت الرؤيا في المحبة الصوفية عنده لتشيد لنا عوالم مفعمة بترنيمات الوجد الأزليّة؟ وقد كان المنهج السيميائي هو المنهج المتبع من خلال تتبع العلامات الدالة، وكذا من خلال الكشف عن البنية العميقة والمبطنة التي نالها هذا الخطاب الذي احتفى بالرمز والإشارة بدل العبارة.

1- ماهية الحب عند الصوفية:

الحب عند الصوفية فطرة إنسانية، وهبة ربانية قامت بين العبد والرب بإرادة الرب، مختارا العبد مجلى له، فقد ظهر في كل الموجودات من جماد ونبات وحيوان وإنسان، ولكنه لم يظهر في أجل صوره إلا في الإنسان، فالله تجلى في خلقه حبا، ولكنه كان أكثر بهاء وأكثر جمالا وأكثر ظهورا حين ظهر في الإنسان، إذ بظهور الأعلى في الإنسان احتل الإنسان قمة الهرم الوجودي، لأنه حمل معنى الحق فيه، وصار دالا على الحق بالحق بإدراكه لمعاني الحق فيه. (3)

وتجدر الإشارة إلى أن تعريفات الحب ومتعلقاته بالذات الإلهية، قد تعددت لارتباط هذا المفهوم بالتجربة الذاتية الصوفية، فكل ذي تجربة صوفية عرف الحب الإلهي بما يتلاءم وطبيعة تجربته، وما يتسق وفهمه ومقامه وحاله، وقد احتوت كتب الصوفية على العديد من التعريفات التي تؤكد تفاوتا جليا يظهر خصوصية التجربة الصوفية وذاتيها.

تتمثل المحبة عند المتصوفة (**بنفاسة رسم المحبوب عند المحب والضن به عن أن يتعلق المحب بغيره، وهي في الأحوال تمثل الابتهاج بشهود الحق، وتعلق القلب به معرضا عن الخلق، معتكفا على المحبوب بجوامع هواه، غير ملتفت إلى ما سواه**)، (4) لتشكل مطلق التعلق القلبي بالذات العليا دون ما سواه من عوارض الدنيا الأخرى.

2- المحبة الإلهية بين الظاهر والباطن في شعر عبد الله العشي:

ومكمن رجوع **عبد الله العشي** إلى تجربة الحب الصوفي نابع من إحساس حتمي بضرورة الخلق والتشكيل والتطوير؛ فالتوجه إلى معطيات الموروث الصوفي لا يعني الإفادة الجامدة التي تدخل في باب المحاكاة والتقليد المكرر، وإنما إعادة صوغ تلك المعطيات في قوالب جديدة بما يثري العمل الفني، ويجعله صالحا للتعبير عن همومه وقضاياه المختلفة فـ(**التراث دائم التشكل وإن جوهره في حراك مستمر، أي أنه خاضع لعملية إبداع دائمة**)، (5) بعيدا عن

التقليد الأعمى الذي لا يصحبه فكر وإبداع، تقوم فاعلية التجريب بصياغة فنية خالصة لمعطيات التصوف وفق ما يخدم النصوص الشعرية ويعيد بناءها وتشكيلها استلهاما جماليا واعيا بكل ما يحمله النص الأصلي من قيم جمالية ينبغي التركيز عليها.

وقد استلهم الشاعر من هذا الرافد - التصوف – تجربة المحبة- منفتحا عن ذاتيته ومنفصلا عن المجتمع ظاهريا، ليعيش آلامه التي هي نفسها آلام المجتمع بوجود مأساوي، ثم إن هذا النوع من التصوف يعد محاولة للتعويض عن العلاقات الروحية، والصلات الحسية التي فقدها الشاعر، وتلطيفا من حد المادية الصلب باللجوء إلى الحب الصوفي، فهو حب خال من قيود المادة، وموبقات الفحش، فخلص نفسه من كل شوائبها، وأقبل على حبيبه الذي يجليه الجمال المطلق، في أسمى صوره المعنوية، ومن أخص خصائص هذا الحبيب كل ما في الكون من آيات الحق والخير والجمال. [6] ليخضع الشاعر هذه القيمة العليا على أنثى مقدس تحمل معاني الجمال والجلال المطلق، نجد الشاعر في قصيدته: **أول البوح**"[7] يقول:

أوقفتني في البوح يا مولاتي،

قبضتني، بسطتني،

طويتني، نشرتني،

أخفيتني، أظهرتني..

وبحت عن غوامض العبارة.

وقلت يا مولاي:

أعطيت لك...

أعطيت كل شيء لك،

أفرغت فيك ما جمعت من محبتي،

ومن بحار نشوتي

أطلقت للمواجد الشراع

حتى يقول:

تراك يا مولاي تعذر العشاق...

حين يجرؤون،

من حر عشقهم،

لو عاتبوك:

أطلت غيبتك؟

يستهل الشاعر قصيدته بلفظة "**واقـفا** " والتي توالت في خلق عوالم القصيدة بأبعاد و دلالات صوفية من خلال التناص مباشرة مع (النفري) في مواقفه حيث قال: "**أوقفني في موقف النظر إلى وجهه وقال لي: اهبط إلى كل شيء فانظر إليه وعد إلي، فهبطت ومعي نوره الذي أهبطني به فرأيت كل شيء... أوقفني في القيومة وقال لي**". [8] فتناص الشاعر مع الخطاب الصوفي يكسب تجربته (**غنى وأصالة وشمولا في الوقت ذاته، فهي تغني بانفتاحها على هذه الينابيع الدائمة التدفق بإمكانات الإيحاء ووسائل التأثير، وتكتسب أصالة وعراقة باكتسابها هذا البعد الحضاري التاريخي، وأخيرا تكتسب شمولا وكلية بتحررها من إطار الجزئية والآنية إلى الاندماج في الكلي المطلق**). [9] فهذا الرافد يُعد مكسبا فنيا لكونه يحمل أبعادا دلالية و فنية لا متناهية من شأنها أن تخلق جو من الابتكار والتجريب لدى الشعراء.

ففي هذا النص يظهر جليا أن المخاطب هو ذات الله العلية بما تحمل من قداسة تجلت بأوامر أزلية لذات النفري، أما المخاطب في شعر عبد الله العشي فهو أنثى غير أنها أنثى ذات طابع قدسي تحمل صفات الألوهة، إنها أنثى تميس دلالا وتشع جمالا وتتلألأ جلالا، ينشر ويغمر بياضات أسرارها المحتجبة عن الظهور، فجنح إلى نقاط الحذف في أغلب الأبيات حتى لكأنه يحاول أن يتحاشى البوح المحظور، فرغبة العشي "**في الوصول إلى عالم الكشف، عالم الاحتمال، إلى عالم ما وراء الحجاب حيث يغدو الأرحب والأعمق في عالم المدد الذي فضله الشاعر ليغمر فيه كيانه بالنور والحبور ولعل هذا هو مكمن السر في تجليات الصوفي**

الداعية إلى الاشتياق إلى صورة الحق".[10] ، ثم يضيف الشاعر بأنه أعطى كليته وذاته: **أعطيت لك**... هذا العطاء وهذا الامتنان اللامتناهي إنما هو دال على محبة أزلية وفي ذلك يقول الشبلي(**حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن تحب، فلا يبقى فيك لك شيء**). [11] بمعنى أنها إعطاء بلا مقابل عطاء لا يبقي شيئا دون أنانية أو رغبة في التملك.

من خلال حديث الشاعر عن هذه الأنثى:[12]

هي حكمتي ...

هي شطآن أسئلتي

هي حبر القصيدة... أرجوزة العمر

قديسة من وراء الشهب

هي سحر السحابة

مالت على جنبات السحب.

تتماهى المعاني الشعرية عند **عبد الله العشي** حتى لكأنه يكرع من كأس التماهي مع الذات في تأملاتها في الوجود، وفق درامية تتسم بالصراع النفسي، محاولا أن يسمعنا تأوهاته من ذاته الولهانة، وذلك في مقاومته للزمان، ومعاناته التي تسري في أواصره، فحين يشكو لوعة الروح في عشقه يسكن الكون في إيقاعاته الذابحة من شدة الأسى الذي يقطع فلذات من أعماقه، ومن المدى المنشود في حنينه الذي أسماه الحكمة، وشطآن أسئلتي، وما شبهها بشطآن، إلا لأنه يريد أن يضعها في مقوّم تماثلي للبحر الذي يشبه هذه الأنثى سواء من حيث تقلبه كتقلبها، أو لكونها سرا ولغزا كما هو مكمن الأسرار والألغاز، وحبر القصيدة، بمعنى ميلاد قصيدته الدالة على الاحتمال المأمول، وهي صورة للوجه الآخر، للظمأ، لذلك سيظل يبحث عن الذات في استشرافه لعله يجدها في صفحات شعره.

وتتنازع المحبة الإلهية وتختلج فؤاد الشاعر الذي يرنو نحو عوالم باطنية موغلة في القتم والضبابية إن اكتشاف الذات المشبعة بالخصوصية الروحية يعطي توهجا قابلا للتواصل بالعليائي النوراني، وبذلك تصبح تسابيح الحب ذات بعد إضماري بعمق امتدادها، واستنباط

مياسم الحسن في قربه من نور الحق، الحق المنشود في الكتابة، القصيدة، المرأة، وقد أعطت أبعاد الحب عند **عبد الله العشي** أفقا روحيا متناميا في مداراته، وفضاءاته الاشراقية، ليتجلى مقام التمازج بالعالم العلوي، حيث الوجود المطلق، والخير الأسمى، [13] والحال هذه أن **الشاعر العشي** مولع بابتهاج نفسه في نضارتها بعد توحده، وذوبانه في الذات الإلهية، رغبة في الانفصال عن العالم المادي القاتم وصولا إلى تلك المثالية السامية والتي انعكست رقتها في الاستلهام من الرافد الصوفي كونه يشكل معلما من معالم الشعرية العربية التي نهل الشعراء الحداثيون من خصوصياتها الفنية والفكرية على السواء وفق تداعيات تجريبية .

يرى الشاعر في قصيدته: **"الثاء تغزل ليل(ها)" المقطع الثالث.** [14]

أشرقت؛

تلك عينان من غسق غزل الليل جفنيهما

من دجى الكون، تحتفلان...

وتختصران المسافة بين السماوات والأرض. إني أرى؛

ضاق بي الأفق. إني أرى؛

قمرا ذاب في فيضه، وأرا(ها)...

تتوج بالظل بستانها

(ها) تذري الهاء على وجنة الريح...

(ها) لغة حكت الأبجديات ترحالها

وقرنفلة سكبت الفصول...

وأخفت تواشيح (ها)

(ها)قناع يؤجلني

حتى يقول في سياق المتن الشعري ذاته:

وانثنت وتولت...

وما ذاع سر لها. (15)

تتزاحم في هذه القصيدة حيثيات المحبة الصافية والتي تمثل: نزعة الشاعر الحداثي-**عبد الله العشي**- نحو الخلاص إلى العوالم الصوفية، فحب الإنسان لله صفة تتجلى في قلب المؤمن الورع على صورة توقير وتعظيم، بحيث يرغب في أن يرضي محبوبه، ويصبح قلقا نافد الصبر في حنينه إلى رؤيته. وهو مقطوع الصلة بكل عاداته، وهو يبدأ من الشهوة الحسية، ويتجه نحو ساعة الحب، ويخضع لسلطان الحب، ويعرف الله بما يتصف به من صفات الكمال، (16) أما العشي فيبدو أنه استعار هذه الأجواء العرفانية وأحالها على أنثاه مصطنعا من التصوف قناعا يخفي فيه مراده المنشود.

وقد اتجه **عبد الله العشي** للتجربة الصوفية باعتبارها عملية استبطانية لتجربة روحية، غايتها ليست سوى تهيئة النفس لاتخاذ موقف من الوجود ومن العالم المزيف بغية الوصول إلى الخيال الحقيقي، ومحاولة كشف الحقيقة وكشف العالم المختفي عن طريق تجاوز العالم المحسوس، من هنا كان لزاما أن يستلهم تلك التجربة ليتمكن من سبر أغوار الذات الإنسانية وكشف ملامح القوة والضعف وصراع الإنسان في هذا العصر. (17) فيظهر في بداية المقطع الشعري لفظة "**أشرقت**" والتي تحيلنا إلى اللفظ الصوفي الإشراق والذي يقوم على الحدس الذي يربط الذات العارفة بالجواهر النورانية وتسمى بالعلم الحضوري، أي حصول العلم بالشيء بدون حصول صورته في الذهن، وحكمة الإشراق هي الحكمة المبنية على الإشراق الذي هو الكشف. (18) واستدعاء الشاعر لهذه الأجواء، غايته بناء قصيدة حداثية بصبغة عرفانية روحية، تحيلنا إلى حيثيات التجريب الشعري من كونه يشكل رحلة بحث عن قوالب فنية جديدة، تسهم في إذكاء العملية الشعرية كما تمكن من إضفاء روح الحداثة عليها.

ينكشف للشاعر حجاب نوراني يتبدى له عن ذات تظهر بكمال الصفات، تبزغ منها عينان تبدوان كغسق أبلج من السواد تقيمان نضرتهما وجمالهما من دجى الليل، فكأن السواد هبة الليل لهما، والليل خلوة المشتاق، ودعة الانسياق نحو الأعماق الزاخرة، ما أثار في الشاعر هيامه وبدد إلتآمه وكسر لجامه، ليطلب الرؤية والتجلي لهذا الجمال المطلق، رؤية لروح الكتابة الإبداعية أو لأنثى توحي بهذه الكتابة وتمليها، ولما كان الحبّ يقتضي الجمال والمشاهدة جعل المتصوفة المرأة رمزا له" **فهي ليست محلا للشهوة بذاتها، بل هي رمز لذلك الجمال الشامل،**

وطريق موصل إلى الحق فإن بثها حبه وأشواقه فإنما هو في الحقيقة يعبر من خلالها إلى ما ترمز إليه إلى الحق تعالى فالجمال المقيد المحسوس باب مفتوح على الجمال المطلق يعبر منه من لا يقف مع الرمز" [19] والمرأة في هذا المقام تساير وتناظر القمر الذي يعد رمزا طافحا للأنوثة أو المرأة لما يشتمل عليه من تماثل زمني دوري فدورة القمر تعد بثمان وعشرين يوما وهي نفسها الدورة الشهرية لدى المرأة، وما يبعث على هذا التأويل إرداف أسطر القصيدة بحرف الهاء: **وأرا(ها)، (ها) تذري البهاء، وأخفت تواشيح (ها)، (ها)قناع يؤجلني...**

فهذه الهاء لها دال على الأنوثة فهي في اللغة العربية هاء التأنيث، الذي عذب الشاعر وأذاب كيانه وجعله في حالة انجذاب نحو الموجودات فلقد ظل **عبد الله العشي "يسعى بذاته الشاعرية- في محاولة جهيدة- إلى تقمص وجدان العالم الروحي، وتشوف قواه الباطنية في عالم الشعر الفياض، حيث كيمياء التفاعل بين الشعر والروح أو بين الحس الوجودي و التوحد بالعلاء المعشوق أي بين واقع معمول وواقع مأمول، وهو الذي أفرز التماهي في المطلق".** [20] إنها لذة الكتابة أو لذة البحث عن كتابة تجمع بين العلوي والأرضي، بين الشعر والروح، ليحدث التمازج بالمطلق في ثنايا القصيدة الشعرية وتصل به إلى أوج الإبداع والخلق الفني. **"وباشتعال قبس العشق وتأجج ناره الالهية، يزداد شوق المحب وحنينه إلى العرف الأقدس والنفس الرحماني الذي تداعى إلى باطنه ... إذ إن هذا النفس هو الذي نفس عن الأسماء الالهية ما كانت تجد من كرب حال بطونها، لأنها لا تفتأ تتعشق العالم لتظهر سلطانها في أعيانه ".**[21] يقول الشاعر في قصيدته:[22]

كنت أعرف

لكنني عاشق وله

ليس لي غيرها

من يلملمني في الزحام اللجب

كنت فتحت قلبي لها

كي تغني بأرجائه

وافرا طيعا وخبب

كان إن حضرت

مزقت ما تبقى من القلب

إربا إرب

وهي إن غاب إيقاعها

أضرمت في الضلوع اللهب

ثم...

فالحب في هذه القصيدة يصور تواترا وتتابعا فأوله وجد، وأوسطه محو، وآخره حرق، إنه الحاجة والرغبة بهذا المحبوب الذي يسكن دواخله ويسلمه لذات أخرى تحكم قرارات نفسه، ولا سبيل إلى فقدانها فهي تلملم شتاته، وتواسي إحساسه، لتلوح في كيانه دفقات دفينة لأنثى فريدة تشعل فيه نارا ولهيبا ببعدها، فتفجعه بغيابها وانسيابها، وتألمه بقربها ودنوها، لتغدو رحلة بحث عن ذات في ذاته، لرأب صدع ألم به حتى يتحقق له إشباع عاطفي من نوع خاص، سواء في الكتابة الشعرية "القصيدة"، أو اللغة، أو المرأة الأنثى، وإن كان الطريق نحو الصفاء الروحي نحو محبة خالصة أتت للشاعر بـــ **مزقت ما تبقى من القلب، أضرمت في الضلوع اللهب**، إنه تماهي روحي نحو الاتحاد بذوات قد تكون مختلفة لكنها في الحقيقة مؤتلفة، تشكل، الأنثى بما هي نزوع نحو الكمال المطلق ليصير حب الشاعر **"تلويحا إلى حب إلهي مستحوذ قاهر من ديالكتيك عاطفي وجداني يجمع بين الطبيعي الالهي، بين الشعور الباطني ببكارة العشق وعذريته الطاهرة وبين الشهوانية التي تعبر عن نفسها في مظاهر استطيقية متنوعة، بين التجلي الالهي والصورة العينية المحسوسة".**[23]

ليتجلى الحب عند عبد الله العشي نبعا صافيا ومعينا أبديا، تحولت فيه الأنثى إلى ذلك الوجود البكر الذي يتدفق نبعه بالمعاني اللامتناهية؛ وقد تحررت فيه الذات من دنس العالم بتفاصيله المكررة، ومن سجن المعنى الغارق في مادية اللغة المتناهية المتمثلة في نحوها وعروضها وفصاحتها ليغدو المجاز والرمز هو الوحيد الذي يستطيع أن يحرر العشق من ذلك التناهي اللغوي ليسبح في ملكوت السيمياء وطلسمات الشعر وبلاغة الحروف المزخرفة بأنوار القلب.[24]

فعبد الله العشي في بداية المسار العاطفي عرف أن في داخله شعورا يدفعه إلى الكلام متأتيا من حبه لامرأة، ليست كباقي النساء تمارس عليه الغواية والفتون وترحل به إلى مدن الخرافة والمجاهيل والأماكن الغيبية، جعلته يحس أنها تتقاسم معه المشاعر نفسها أحيانا وتختفي عن حدود رؤيته أحيانا أخرى ،وفي كل هذه الأحوال تتغير الحالات الشعورية عنده ومنها الأحاسيس النابعة الجياشة، لتتراوح بين النشوة والألم أو الامتلاء النفسي والفراغ العاطفي، فيحاول الفرار من دنس الدنيا إلى طهر الروح وحفظ النفس،[25] فقد ارتقى الشاعر بهذا الحب من الأنسنة والذوات الأرضية إلى الإلهي، فجمال الكائنات والمخلوقات من جمال بديع السماوات فهو من أوجدها، وأفاض من جماله على الوجود كله، ولما كانت المرأة تعد من الحسن والبهاء ما يجملها على جميع المخلوقات، فقد اعتبرت في العرف العرفاني المقابل الأنسب للذات الإلهية في جمالها وبهائها وتفردها.

وقد برزت تجربة الحب في معظم دواوين **عبد الله العشي** واستطاع برهافة حسه أن يفيد من الشعر الغزلي عبر تمثله لأدائه الظاهري وتقنياته أيضا، فأضفى عليه لونا مختلفا وأوجد منه أسلوبا خاصا به، فاحتل ضمير المتكلم **أنا** -باعتباره في الأغلب شعر مناجاة وكشف مركز الصدارة فيه، وأصبح ملمحا أسلوبيا، وإطارا معرفيا، يصلح كمدخل لقراءته والنفاذ إلى أعماقه المستترة وفي مساراته ومداراته فقد اقترب شعر العشي من السيرة الذاتية فبدا كنوع من الترجمة الشعرية،

يقول في قصيدته **"لبيك"**: [26]

سكبت خمرتي، أرقتها على دمي، وأجهشت خطاي

رميت شملتي، وسرت فوق الماء، غار الماء،...

جسدت فيه الأنا مسالكها، ومعارجها الصوفية، فهاته الأنا تجعل من الخمرة المسكوبة، **"سكبت خمرتي"** إطارا مرجعيا يحيل إلى السكر الصوفي والوجد الذي يتبع هذه الحالة فالأنا بهذا في سعيها الدؤوب وراء الكشف عن الحق في الله والإنسان والعالم وفي رغبتها الحالمة في الفناء بمحبوبتها والبقاء بها، وفي سيرورة المعنى العام للقصيدة نجد الشاعر يردف كرامة صوفية يحرك بها الجو العام للقصيدة ويجذب المتلقي ليغدو وسيطا شاهدا متمثلة في السير فوق الماء: **وسرت فوق الماء**، والحنين إلى الماء هو حنين إلى السر الغامض في أعماق الأصل

الوجودي، **قال الله تعالى**:(**واللهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ من مَّآءٍ**) سورة النور الآية43 فصار بذلك نص العشي كتابة كاشفة عن ذات الأنا وحقيقتها، يعريها ويجليها لذاتها، فتدرك مالم تكن أدركته من قبل، وتعرف مالم تكن عرفته من قبل، فتغدو الكلمة النص، الكتابة القصيدة مرآة تشهد فيها الأنا ذاتها، كما أن الأفعال (**سكبت، أرقتها، أجهشت، رميت...**) تحيلنا على الحركية والاستمرار فهو في عمل دؤوب ومكابدة مستمرة حتي يحصل له شهود الحق والفناء فيه.

يقول **الشاعر** في قصيدته: الثاء تغزل ليل(ها)، [27]

تلك عينان من غسق غزل الليل جفنيهما

من دجى الكون، تحتفلان...

وتختصران المسافة بين السماوات والأرض، إني أرى؛

ضاق بي الافق. إني أرى.

يبدأ الحب في هذه القطعة الشعرية لشاعرنا **العشي** من الإطار المادي الجسداني الفاني، وينتهي إلى الجوهر الروحي الرباني، ف(**الصوفية ابتدأوا حياتهم بالحب الحسي، ثم ترقوا إلى الحب الروحي**)، [28] فبهذا الانتقال أحدث الشاعر فجوة عند المتلقي، ليرمي به من المشاهدة الأولى المختصة بأنثى(**عينان، جفنيهما**)، لينقشع الحجاب ويتضح أن هذه الأنثى إنما هي مجلى لذات أكبر، ويحدث للشاعر أن يحقق ما كان طالبا إنه الوصول إلى المطلق، وعبر عنها بتكرار لفظة "**أرى**"وتوكيدها ما يفيد أن الشاعر قد هام عشقا في الوصول، وفق هذا التمثل استطاع الشاعر أن يكسر قيد التجربة العاطفية، ويتدرج بها إلى أسمى مدارك العلو، إلى مستوى الرؤيا والكشف، العميقة بأجوائها الروحانية الدافقة، معبرا بلغة رمزية صاخبة موغلة في أعماق الذات وفق تصعيد للمظهر الأنثوي إلى مستوى عال من الروحانية الصوفية .

إن استخدام معطيات التصوف استخداما فنيا إيحائيا، وتوظيفها رمزيا بحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر، بحيث يسقط الشاعر على معطيات التراث -الصوفي- ملامح معاناته الخاصة، وإمكاناته الإبداعية، فتغدو معطياته تراثية- معاصرة، تعبر عن أشد همومه خصوصية، دون انكفاء أو اقحام مفروض من الخارج، هو ما يسمح بإقامة خيوط أصيلة من نسيج الرؤيا الشعرية المعاصرة.[29] كما أنه يعد ركيزة من ركائز التجريب الشعري الحداثي الذي

يطمح إلى إكساب اللغة دلالات جديدة، من شأنها أن تقوي الحساسية الشعرية، وتضفي عليها قيما روحية ترفعها إلى دائر المقدسة والعرفاني، **يقول الشاعر في قصيدته:**(30)

كانت امرأة عند باب الإله

تشرق الشمس حين تشير بإصبعها

وإذا ابتسمت

كان نورا مذاب

لما كان الحب يقتضي الجمال والمشاهدة جعل عبد الله العشي المرأة رمزا له فهي " **امرأة، ابتسمت، نورا مذاب** " فهي ليست محلا للشهوة بذاتها، بل هي رمز لذلك الجمال الشامل، وطريق موصل إلى الكمال إن جاز التعبير فإن بثها حبه وأشواقه، فإنما هو في الحقيقة يعبر من خلالها إلى ما ترمز إليه، من رقة وجمال يعيد للعالم اتزانه ورقته بعيدا عن كل مظاهر المدنية المادية الخشنة والتقدم العلمي فالجمال المقيد المحسوس بابا مفتوحا على الجمال المطلق يعبر منه من لا يقف مع العبارة بل يتعداها إلى الإشارة، إين يكمن الجمال المطلق وتصرح اللغة بكل حمولاته الدفينة في رحاب عالم. الشعر

نتائج البحث:

-الشاعر **عبد الله العشي** لا ينشد التصوف بالمعنى الحقيقي إنما هو متصوف في لغته وأسلوبه، ينفتح نحو فضاءات اللغة والعشق ليشيد لنفسه صرحا شعريا حداثيا يساير من خلاله اللغة والكتابة الفنية الحداثية.

- إن المحبة عند الشاعر كتجربة في الكتابة لا في الدين تطواف في غيمة من احتمال لا متناه، تنشد الممكنات، وتناجي المستحيلات، عبر وسيط انتقالي عروجي، من عالم الشهود، إلى عالم الغيب المنشود، لتفنى فيه برغبة ما أراها تتحقق إلا في عوالمه العرفانية، التي صبغها بروح كليمة متألمة حائرة مغتربة، وسط ركام الوجود المادي إيذانا منها باتحاد خالص مع أنثى ينشد من خلالها الكمال والجمال والجلال والمثال، فهو عبر تطوافه هذا في ارتقاء وتدرج بين مقامات صوفية متنوعة، باذلا كليته ليحقق مناه، بالوصول إلى مولاه، والفناء في سبحات نوره وسناه.

- ويجسد حسّ التصوف عند **عبد الله العشي** تجربة ووثبة إبداعية تقتضي المحبة الخالصة والإصرار على الفناء في محبة المحبوب، إلى آخر رمق دون أن يحيد قيد أنملة عن نواميس هذه المحبة الفريدة المضرجة بماء الوجدان الزلال الطاهر، المطهرة بنار الوجد والشوق المسعرة.

ليتضح جليا أن الشاعر عبد الله العشي قد نهل من معين التجربة الصوفية الزلال لفظا ومعنى، وكان الحب عنده منهجا في الكتابة، وطريقة في الخلق اللغوي المفرط في الحساسية والنضج الفني، فعبر عنه بأشعاره وزاده من ترنيمات الوجد ووجد.

- يعمد **عبد الله العشي** إلى التناص مع الحب الصوفي وذلك في إطار بحثه عن شكل تعبيري جديد يناسب خبراته الاجتماعية والحضارية الجديدة الصاعدة المتفاعلة، ويناسب أيضا ذاته القلقة المتسائلة، بلهفة مشرقة، وحيرة محدقة غرف من الرافد الصوفي من كونه يعد عالما حافلا بالمواقف والدلالات، فنظر إليه من بعدٍ مناسب يتماشى مع المنطق الصحيح، فتمثله جوهرا وروحا نابضا ومواقف لا صورا وأشكالا وقوالب جاهزة فأدرك بذلك أبعاده العرفانية .

-إن التجربة الشعرية لدى عبد الله العشي هي تجربة مثقفة فيها درجة عالية من الوعي والتصميم والصناعة دون أن يعني ذلك إلغاء لشرط الأصالة والموهبة والصدق الشخصي... إنها نتاج لقاء بين المخيلة الشعرية الأصيلة وبين ثقافة العصر وهمومه.وفق نسق تجريبي يبحث عن الابتكار والخلق الشعري.

الهوامش:

[1]- **خالدة سعيد**: الملامح الفكرية للحداثة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد4، العدد3، ص 32.

[2]- **ينظر: عبد الله محمد الغذامي**: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1998، ص 272.

[3]- **عباس يوسف الحداد**: الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009، ص 48

[4] - **عبد الرزاق الكاشاني**: معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العالي شاهين، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1992، ص 307.

[5]- **فهمي جدعان**: نظرية التراث، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1985، ص 37.

[6] - **ينظر: علي نجيب عطوي**: ابن الفارض شاعر الغزل في الحب الإلهي، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان، ط1، 1994، ص 157.

[7] - **عبد الله العشي**: ديوان مقام البوح، منشورات جمعية باتنة الثقافية، باتنة، الجزائر، ط1، 2007، ص 5-9.

[8] - **شادية شقرون**: سيميائية (الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010، ص181.

[9] - **علي عشري زايد**: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1417هـ- 1997، ص17.

[10] - **عبد القادر فيدوح**: إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط1 2009، ص 233.

[11] - **عبد الرحمان بن الحسين السلمي**: المقدمة في التصوف، تح **يوسف زيدان**، دار الجيل، بيروت، لبنان، طبعة1، 1999، ص 28.

[12] - **عبد الله العشي**: ديوان صحوة الغيم، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص 42.

[13] - ينظر: **عبد القادر فيدوح**: إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، مرجع سابق، ص 246.

[14] - **عبد الله العشي**: ديوان صحوة الغيم، مصدر سابق، ص 31-32.

[15] - **عبد الله العشي**: ديوان صحوة الغيم، مصدر سابق، ص 31-32.

[16] - **ينظر: علي نجيب عطوي**: ابن الفارض شاعر الغزل في الحب الإلهي، مرجع سابق، ص 157.

[17] - **ينظر: السعيد بوسقطة**: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، 2008، ص 186.

[18] - **ينظر: أمين يوسف عودة**: تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2008، ص 244.

[19] - **محمد كعوان**: فلسفة الحب عند الصوفية، مجلة العلوم الإنسانية، قسنطينة1 الجزائر، عدد41 جوان 2014، ص 241.

[20] - ينظر: **عبد القادر فيدوح**: إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، مرجع سابق، ص233.

[21] - **عاطف جودة نصر**: الرمز الشعري عند الصوفية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 172.

[22] - **عبد الله العشي**: ديوان يطوف بالأسماء، منشورات أهل القلم، باتنة، الجزائر، ط1، 2009، ص 43-44.

[23] - **عاطف جودة نصر**: الرمز الشعري عند الصوفية، مرجع سابق، ص 166.

[24] - ينظر: **أحمد يوسف**: يتم النص الجينيالوجيا الضائعة تأملات في الشعر الجزائري المختلف، مرجع سابق، ص 190-191.

[25] - **ينظر: بن أحمد تسعديت**: المخطط النظامي العاطفي في ديوان "مقام البوح" لعبد الله العشي، مجلة الخاطب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر العدد السادس، جانفي 2010، ص 276.

[26]- **عبد الله العشي**: ديوان يطوف بالأسماء، مصدر سابق، ص 11.

[27]- **عبد الله العشي**: ديوان صحوة الغيم، المصدر السابق، ص 31.

[28]-**زكي مبارك**: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، طبعة 2012 ص 563.

[29]- **ينظر: علي عشري زايد**: توظيف التراث في شعرنا المعاصر، مجلة فصول، مجلد الأول، العدد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1980-1989، ص 204.

[30]- **عبد الله العشي**: يطوف بالأسماء، مصدر سابق، ص 30.

قائمة المصادر والمراجع:

1. **عبد الرزاق الكاشاني**: معجم اصطلاحات الصوفية، تح: عبد العالي شاهين، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1992.
2. **عبد الله العشي**: ديوان صحوة الغيم، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.
3. - **ديوان مقام البوح**، منشورات جمعية باتنة الثقافية، باتنة، الجزائر، ط1، 2007.
4. - ديوان يطوف بالأسماء، منشورات أهل القلم، باتنة، الجزائر، ط1، 2009.
5. **أمين يوسف عودة**: تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2008.
6. **-زكي مبارك**: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، طبعة 2012.
7. **سعاد الحكيم**: المعجم الصوفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.
8. **شادية شقرون**: سيميائية (الخطاب الشعري في ديوان مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2010.
9. **عاطف جودة نصر**: الرمز الشعري عند الصوفية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

10. **عباس يوسف الحداد**: الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2009.
11. **عبد الرحمان بن الحسين السلمي**: المقدمة في التصوف، تح **يوسف زيدان**، دار الجيل، بيروت، لبنان، طبعة1، 1999.
12. **عبد القادر فيدوح**: إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2009.
13. **علي عشري زايد**: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1417هـ- 1997
14. **السعيد بوسقطة**: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، 2008
15. **عبد الله محمد الغذامي**: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1998.
16. **علي نجيب عطوي**: ابن الفارض شاعر الغزل في الحب الإلهي، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان، ط1، 1994.
17. **منصف عبد الحق**: الكتابة والتجربة الصوفية، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ط1 ،1988.
18. **فهمي جدعان**: نظرية التراث، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1985

2- **المجلات العلمية**:

1. **مجلة الخطاب**: جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، العدد السادس، جانفي 2010.
2. **مجلة العلوم الإنسانية**: قسنطينة1 الجزائر، عدد41، جوان 2014.
3. **مجلة فصول**: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد4، العدد3.
4. **مجلة فصول**: مجلد الأول، العدد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1980-1989